

نشاط الحركة الوطنية الجزائرية في مواجهة السياسة الفرنسية:

تجربة المظاهرات الجماهيرية خلال النصف الأول من القرن العشرين أنموذجا  
أ. عبد القادر خليفي - قسم التاريخ - جامعة محمد بوضياف - المسيلة

### الملخص:

تروم هذه المحاولة العلمية المتواضعة رصد ملامح التحولات النضالية التي عرفتها الجزائر مع بزوغ القرن العشرين، حيث لجأ الجزائريون إلى تغيير نمط تصديهم للمحتلين الفرنسيين باستبدال طريقة المواجهة المسلحة بالمقاومة السلمية، فكان أن ظهرت أشكال نضالية متعددة لم يسبق للوطنيين تجريبها فقد كانت حكرا على المستوطنين الأوربيين، ومن بين تلك الأساليب نزول الحشود الجماهيرية إلى الساحات العامة والشوارع في حركة مظاهرات تستهدف إسماع الصوت الجزائري المغيب، ودفع السلطات الفرنسية إلى القيام بمراجعات لسياساتها المطبقة على أبناء البلد.

تعكس تجربة المظاهرات الشعبية ذلك الزخم الذي ميّز الحياة السياسية الوطنية في النصف الأول من القرن العشرين بما أبان عن تطور كبير في مستويات الوعي والإدراك لدى الفئات العريضة من الجزائريين الذين كانوا سابقين إلى صناعة مشهد جديد غير مألوف في علاقة الأهالي بالمعمرين.

### Résumé :

Cette modeste tentative scientifique traite les changements de lutte éprouvés par les algériens à l'aube du XXe siècle, Passant d'une résistance armée à une résistance pacifique et ce la en faisant des manifestations dans les rues et dans les places publiques. Ces manifestations populaires reflètent la conscience du peuple qui caractérise la vie politique nationale dans la première moitié de ce siècle.

لقد أبدت الجزائر استماتة كبيرة في مقاومتها للمشروع الاستعماري، الذي سعى بكل الوسائل لبسط السيطرة والتوسع وإخضاع أصحاب الأرض الشرعيين، وقد فرضت طبيعة المواجهة خلال السبعين عاما التي تلت الاحتلال أن لجأ الجزائريون غالبا إلى الثورات، يدفعهم إلى ذلك فضلا عن معاداتهم المبدئية للغزاة حرمانهم من أدوات التعبير الأخرى، فقد كان للوافدين الجدد كل وسائل التعبير كالصحافة والعرائض والمنشورات، بل والتمثيل النيابي والمظاهرات، بينما تم خنق الصوت المحلي بحيث لم يكن للجزائريين شيء من ذلك، لذلك فإن مطالبهم قلما وصلت إلى السلطات الفرنسية والوسيلة الوحيدة التي تركت لهم هي الثورة.

### التحولات النضالية مع فجر القرن العشرين.

مع إطلالة القرن العشرين بدا وأن أسلوب المواجهة قد تبدل، وهكذا نلاحظ محاكاة الجزائريين لأساليب الأوربيين، حيث استعملت الجزائر الفتاة طريقة العرائض والوفود والإضرابات وصخب الشوارع وهو التكتيك الجديد الذي وظف من أجل الضغط على الإدارة الاستعمارية، أملا في دفعها إلى جعل أهل البلد في محيط حقل الرؤية، بعدما ظلوا خارج مجال الإبصار.<sup>1</sup>

والواقع أن تحرك الجزائريين في مستهل القرن العشرين، إنما جاء ردا على تعاقب الإجراءات الردعية التي سنتها السلطات الكولونيلية، فقد صدر قانون المحاكم الرادعة عام 1902م، عقب ثورة عين تركي خلال السنة التي سبقتها تدعيما لقانون الأهالي المشؤوم، بما ضرب في العمق أية إمكانية للحديث عن بصيص إصلاح إداري، وهي التي أطلقت يد الإداريين أكثر، ومكنت الحاكم العام ومساعديه من اتخاذ إجراءات المحاكمة والنفي والسجن.<sup>2</sup>

وحمل العام 1906م صدور منشور عن الحاكم العام شارل جونار وعرف باسمه، وجاء في أعقاب ارتدادات ثورة عين بسام في ذات السنة، حيث أمر صاحبه رؤساء العمالات الثلاث في البلاد بتنفيذ سلسلة من الإجراءات التقييدية، فكان أن تم غلق مقاهي الجزائريين المشتبه فيهم، ومنع المهرجانات الجزائرية في النواحي التي يرتاب منها، ووجهت التعليمات كذلك إلى سحب كل رخص حمل السلاح والى

سجن كل جزائري غير موثوق فيه، وتلا هذه الإجراءات قرار منع الجزائريين من الذهاب إلى الحج خلال موسم 1908م، مع تبرير ذلك بعوامل وقائية صحية. أمام كل هذه التدابير الظالمة التي ضربت في مقتل الهامش المحدود للحرية، ودعمت ركائز السلام الفرنسي المزعوم، كان من الطبيعي أن تشهد الجزائر غليانا متعدد الأشكال في اتجاه حلحلة الوضع القائم، وهذا الحراك الجزائري يسقط الأفكار المروّجة من لدن بعض المؤرخين، الذين يعتقدون أن الجزائر كانت في ذلك العهد هادئة وراضية، والذين يتعين عليهم إذن مراجعة أطروحاتهم كما ذهب إليه المؤرخ أبي القاسم سعد الله.<sup>3</sup>

ولإظهار تصميمهم على استعادة حريتهم في هذا العهد، عمد الجزائريون إلى استعمال طرق جديدة من بينها الإضرابات العامة، والمظاهرات السياسية في الشوارع وحمل العلم الوطني، ففي سنة 1910م نظّم العمال الجزائريون والأحزاب في ميناء سكيكدة إضرابا، ثم تظاهروا رافعين العلم الوطني لأول مرة حسب تقديرات ذات الدارس، وقد ساروا به في مظاهرة شعبية طالبوا خلالها بالحرية، وابدوا علامات الاستنكار للسلطة الاستعمارية القائمة، مما اضطر الإدارة الفرنسية إلى استعمال أدوات القمع والتصدي من شرطة وقوات عسكرية، ويقول فيكتور ديمونتي الذي كان معروفا باتجاهه المحافظ، بأن المسؤولين العسكريين الفرنسيين قد حاولوا أن يفتكوا العلم الوطني الأخضر مع نجمة من أيدي المتظاهرين الذين رفعوه، واستعملوه كشعار لمطالب العمال، ولكن الجندي الذي حاول أن يتخطف العلم قد تعرض لجروح خطيرة.<sup>4</sup>

ويورد ذات الكاتب واقعة تحدث فيها أحد الايطاليين مخاطبا الجزائريين بأن العلم المثلث في إشارة إلى مكونات العلم الرسمي الفرنسي لن يعني لهم قريبا أي شيء، مشيرا إلى أن علما أحمر في لون الدم سيحل محله في النهاية، وتحدث في موضوع العلم أيضا الباحث جيلبير مينييه Gilbert Mynier، الذي يكون قد عثر في الوثائق التاريخية للجيش الفرنسي على صور لعلم عربي عثماني جزائري في شكل متصل ومواز للعلم الفرنسي، يرجع تاريخه إلى فترة معارضة التجنيد الإجباري

1910-1912م، وهي المعطيات التي زوّد بها المذكور الأستاذ سعد الله في مراسلة وقعت بينهما بتاريخ 30 نوفمبر 1973م.

لقد صنّف الفرنسيون إضراب ومظاهرة سكيكدة ضمن سياق التوصيفات التي أطلقوها دائما على كل رد فعل جزائري بأنها أعمال لخارجين عن القانون، غير أن تلك الأحداث كانت في نظر الملاحظين من غير الفرنسيين علامات عدم الاستقرار الذي صبغ المشهد الجزائري تحت القبة الفرنسية، أما في واقع الحركة الوطنية الجزائرية فإن تلك التحركات كانت مجرد خطوات في مسيرة التحرر.<sup>5</sup>

كان موضوع التجنيد الإجباري الذي طرح للنقاش خلال عام 1908م، فرصة أخرى أظهرت وحدة الموقف الجزائري، فقد أجمع الجزائريون على معارضته، نظرا للتناقضات المختلفة التي يحملها وهكذا برزت عدة أشكال اتخذتها المعارضة الجزائرية لهذا التجنيد المفروض، تتمثل في الاحتجاج في الشوارع وتقديم العرائض، وتوزيع المنشورات في المقاهي والأسواق، وإرسال الوفود إلى الميتروبول واللىجوء إلى الاختفاء، وكل هذه الأشكال كانت تحظى بتأييد وتوجيه العديد من الصحف الوطنية على غرار "الحق" و " الرشيدى" و " الإسلام"، التي دخلت على خط المعارضة.

لقد عرفت أنحاء مختلفة من الجزائر سنة 1908م سلسلة من المظاهرات الشعبية المعارضة لفكرة التجنيد الإجباري، وقد ظهرت بوادر عدم الامتثال لهذا الأمر بمجرد انطلاق أولى عمليات الإحصاء في الفترة ما بين 10 إلى 25 سبتمبر 1908م، حيث خرج الأهالي في مظاهرات جماعية تلقائية، تميزت عموما بالطابع السلمى، عاشتها العديد من المدن في كل من دو روفيقو<sup>6</sup>، وتيارت وتريزال وفوكة والأربعاء، رفعت شعارات مناوئة تقول: " إن المسلمين يرفضون محاربة إخوانهم في المغرب " ، كما قدم ممثلون عن المتظاهرين بعض المطالب السياسية، مما حدا بالحاكم العام جونار إلى نشر إعلان في 14 من نفس الشهر أوضح فيه أن الحكومة لم تتخذ أي إجراء، وأن الإحصاء ما هو إلا عملية إدارية عادية.

ومع استمرار مراوغات الإدارة الفرنسية، وعدم التزام مسؤوليها بتقديم إجابات

واضحة لوقف القلق الجزائري، واصل الجزائريين بث دعائيتهم المعارضة في القرى والمدن، فشهدت بذلك أهم المدن مظاهرات في الشوارع، ففي تلمسان وحدها تظاهر سنة 1909م عشرة آلاف شخص ضد التجنيد الإجباري، الذي لا يزال لم يصبح قانونا بعد.<sup>7</sup>

وعندما وافق المجلس الوطني الفرنسي في 03 فيفري 1912م على القانون اضطرت لذلك الجزائر كلها، ففي هذا الصدد نذكر المظاهرات التي وقعت في ندرومة نواحي تلمسان، حيث تظاهر آلاف من الجزائريين أمام مكتب الحاكم الفرنسي للاحتجاج، ولم يسفر الاجتماع الذي جمعهم بذات المسؤول عن أية نتيجة، فكان أن صرخ الجزائريون صرخات معادية وخطيرة ودخلوا في اصطدامات مع قوات الأمن.<sup>8</sup>

في الواقع، فإن سنة 1908م تمثل منطلقا للمساعي السياسية لما يسمى بالشبان الجزائريين، ففي 17 جويلية من تلك السنة صدر مرسوم يأمر بإعداد قوائم اسمية للأهالي البالغين سن 18 عاما قصد تجنيدهم، مما أفرز قلقا شديدا لدى السكان المسلمين، وفي ظل هذه الأجواء المحفوفة بالتربق والخوف انتقل وفد من مدينة الجزائر ترأسه المحامي عمر بوضربة إلى فرنسا، حيث قدّم عريضة تتضمن طلب الاستجابة لبعض الرغبات الإصلاحية للجزائريين، والتجاوب المشروط مع الخدمة العسكرية، بما يفضي إلى استفادة السكان العرب من جميع الحقوق المدنية، وقد تلقى الوفد ردا من جورج كليمنصو لدراسة إمكانية توسيع مجال هذه الحقوق.<sup>9</sup>

لقد أصبحت مؤشرات الخطر السياسي واضحة في أعين المستوطنين، ولهذا بادر بعض رؤساء البلديات ذات الأغلبية الأوربية إلى استغلال الحوادث الأولى التي اندلعت اثر انطلاق عملية الإحصاء فرئيس بلدية دو روفيقو مثلا أكد للمتظاهرين الأوربيين أنه لن يقدم قوائم الحالة المدنية المطلوبة من طرف العمالة، وقال بناء على قانون التجنيد فإنه لا يقبل في صفوف الجيش الفرنسي إلا من هو فرنسي، أو يحمل الجنسية الفرنسية، وحسب علمي فإن العرب ليسوا فرنسيين.<sup>10</sup>

لم تنجح أساليب الالتفاف الإداري والمراوغات في امتصاص النقمة

الاجتماعية الجزائرية على مشروع الخدمة العسكرية، فبمجرد البدء في إجراءات تطبيق نصوص القانون تصاعدت حدة رد الفعل الجزائري، فالشبان الجزائريون أصيبوا بخيبة أمل بعد تجاهل السلطات للمطالب السياسية التي طرحوها، وهكذا سجل شهري مارس وأفريل 1912م تحركات جديدة للأهالي بأشكال مختلفة ومنها تنظيم المظاهرات، كتلك التي جرت في بني يعقوب بالمدينة، وسوق أهراس، وخنشلة.<sup>11</sup>

وفي خضم هذا الجو الرافض والمضطرب، وجد الجزائريون أنفسهم طرفا في مواجهات بين القوى الدولية المتصارعة فيما عرف تاريخيا بالحرب العالمية الأولى 1914-1918م، حيث لم يكن بالإمكان الاستمرار في النضال بعد فرض حالة الحصار، وتكميم الأفواه، وشروع السلطة الاستعمارية في توظيف ترسانتها الدعائية وقنوات الموالين لها، من أجل حشد الدعم الداخلي ودفع الأهالي لمؤازرتها، مع إطلاق وعود غامضة تتعلق بإصلاح الأوضاع بعد أن تضع الحرب أوزارها.

**غليان ما بين الحربين: نضال الجماهير بين المبادرة العنوية والتنظيم.**

من الثابت أن تأثيرات الحرب العالمية الأولى قد اجتاحت الجزائر، وأن الإدارة الاستعمارية لم تكن غافلة عن ملاحظة ذلك، فقد بادرت إلى طرح بعض المبادرات المحتشمة أعطتها تسمية إصلاحات 04 فيفري 1919م، أملا في امتصاص المطالب الوطنية المتنامية، وترسيخ الهيمنة الفرنسية في مقاطعاتها جنوب المتوسط، بهدف تحصينها ضد فيروسات الفكر المناهض للسيطرة والتسلط الوافدة على هذه الأرض من جهات مختلفة.

وفي هذا السياق، وتتبع التعاطي الجزائري مع السياسة الكولونيالية يلحظ المؤرخ تلك الحركية الاجتماعية التي أخذت في التبلور شيئا فشيئا سواء بالنسبة للجزائريين داخل المستعمرة، أم بالنسبة لأبناء جلدتهم ممن قادتهم الظروف إلى عبور الضفة الشمالية للمتوسط بحثا عن تحسين أحوالهم، فكان أن تفتحت عيون المجموعتين على مناخ جديد سماته اللجوء إلى الشارع، وشل المؤسسات الاقتصادية طلبا للحقوق، أو احتجاجا واستنكارا لسياسات وقرارات.

يذهب فرحات عباس، إلى أن المظاهرة العمومية الأولى للحركة الوطنية قد وقعت سنة 1924م في باريس أثناء محاضرة ألقاها الأمير خالد، تميزت بحضور عدد كبير من المهاجرين الذين ينحدرون من شمال إفريقيا، وقد تفرق الجمهور وهو يهتف بشعار " تحيا شمال إفريقيا مستقلة " <sup>12</sup>، ويعتقد أحمد مهساس أن الحراك السياسي الذي تزعمته حركة الشبان بعد طرح ما يسمى بإصلاحات 04 فيفري 1919م، قد بدأ مع نشاطات الأمير خالد المرتبطة بالتجربة الانتخابية التي خاضها، وما صاحبها من مؤامرات حيكت ضده لإبعاده، وهي الحركية التي مكنت الرجل من عقد صلة مباشرة هي الأولى من نوعها مع الجماهير الشعبية باعتباره ممثلا لجماعة سياسية جزائرية، وعلى الرغم من أن تلك الاتصالات لم تكن وثيقة، لكنها بعثت من جديد صلات الشعب الجزائري العاطفية نحو حبه لوطنه وتعلقه بتاريخه <sup>13</sup>.

إن بداية الرهان على الجماهير تبعا لخطوة الأمير خالد تمثل مسلكا في الاتجاه الصحيح فالجماهير الشعبية هي التي تلعب الدور الحاسم في الواقع <sup>14</sup>، وبرأي أحدهم فإن هذه القوة لم تجد كبير اهتمام في السياسة النخبوية للعلماء، أو في سياسة الحزب الشيوعي القائمة على مفهوم الطبقة العاملة التي لم تكن تشكل بين الأهالي قوة رائدة لا من الناحية الكمية، ولا من الناحية النوعية، ولئن أصبحت هذه الجماهير عاجزة مؤقتا عن تفجير الانتفاضة تلو الأخرى كما في السابق، فإن قصورها هذا كان ظاهريا فقط، فقد واصلت مقاومتها للاستعمار بأشكال أخرى، وتمسكت بأصالتها التي كانت تمارس ضغطا عن بعد على رجال السياسة بهدف إدماجهم في الشأن الوطني من جديد.

إن تفسير حالة الركود الجماهيري التي طبعت عقد العشرينيات عموما، يعزوها البعض إلى أن إعادة تكييف تلك الجماهير مع المتطلبات الجديدة للنضال لم تكن مهمة سهلة، ذلك أن تحريكها لا يتم فقط بمجرد تحقيق التواصل الأيديولوجي بها والتموقع معها على نفس الخط، فهي لا تستطيع أن تفعل شيئا ما لم تبلغ مرحلة التنظيم السياسي <sup>15</sup>، وهكذا انقضت مرحلة العشرينيات دون أن يكون

للجماهير حضوراً مؤثراً في مجريات المشهد السياسي في البلاد.

أطل عقد الثلاثينيات بالاحتفالات القرنية، فالفرنسيون اعتبروا سنة 1930م بداية عهد جديد من الانتصارات في الجزائر، ودخلوا القرن الثاني من احتلالها وهم في غمرة من النشوة والزهو معتقدين أنهم سيظلون فيها إلى الأبد، ورفع غلاتهم شعارات العدا للرب والإسلام، واستخدموا القبضة الحديدية مع كل محاولة جزائرية للتنظيم السياسي، واصفين هذا الحراك بأنه كفران بفضائل الاحتلال كما أن الواقفين وراءه هم خونة ودمى تتلقى إشاراتها من الخارج المعادي لفرنسا، ووسط شعورهم بالتفوق العسكري وإخضاع الجزائريين لسلطانهم ترهيباً وتدجيناً، كانوا يتجاهلون النمو المتصاعد للحركة السياسية الوطنية.<sup>16</sup>

يذهب المؤرخ محفوظ قداش إلى أن الجزائر وبحلول تلك السنة قد أصبحت في مفترق الطرق فبالنسبة للمسلمين الجزائريين فقد انتهى ذلك العام إلى طريق مسدود، فالأوضاع الاقتصادية لم تكن على طبيعتها، والجماهير كانت جد منشغلة بالحياة اليومية، لقد حضرت وهي غير مبالية بتظاهرات الذكرى المئوية، ولكنها كانت تستشعر التهديدات التي يواجهها الإسلام، وهكذا كانت سنة 1930م نقطة انطلاق لجيل جديد من الجزائريين.<sup>17</sup>

والواقع أن الحياة الوطنية قد انتعشت بميلاد جمعية العلماء التي أحدثت هزة في كيان المجتمع الجزائري، كما كان لنشاط المنتخبين والشيوعيين بعض الأثر في تنوير الرأي العام، وساهم من جهته نجم شمال إفريقيا في بعث مناخ جديد على مستوى الجالية بفرنسا على اعتبار أن احتكاكه بأفراد الشعب في الداخل لم يكن قد حصل بعد وتأخر إلى غاية منتصف الثلاثينيات.

إن ردود الفعل الشعبية التي وقعت في هذه المرحلة كانت بالأساس مبادرات جماعية تلقائية تجاه إجراءات فرنسية، فقد كان للإجراءات القمعية وعمليات التضييق والمنع التي باشرتها السلطات واستهدفت أعمال وصحافة جمعية العلماء على غرار منشور ميشال سنة 1933م، قد أدت إلى ردود فعل وطنية شعبية تمثلت في احتجاجات صارخة وفقاً لتعبير أندري نوشي André Noshi ووقعت من

أجل ذلك مظاهرات واجتماعات واضطرابات، وذهب المتظاهرون في مدينة الجزائر إلى مقر الولاية وطالبوا بحرية الضمير والعقيدة والتعليم، وهي سابقة في نظر جوزيف ديارمي Josèphe Desparmet، الذي رأى بأنها المرة الأولى التي يستعمل فيها الجزائريون الديمقراطية الأوربية من أجل أهدافهم الثورية، وبيّنت المظاهرات التي نظّموها أن رجل الشارع بدأ يشارك في التعبير عن نفسه، وهي مشاهد تكررت في العاصمة والضواحي ولم تهدأ إلا عندما تصدت لها السلطات بأدوات القمع.<sup>18</sup>

أخذ خط الاضطراب وتحرك الجماهير يتصاعد، فبمناسبة منع الشيخ الطيب العقبي من إلقاء خطبة في الجامع الجديد بالعاصمة بدعوى خطورته وتهديده للأمن العام، تدفقت الجموع للتظاهر ضد هذا القرار، ويرى البعض أن مظاهرة العاصمة ليوم الجمعة 24 فيفري 1933م كانت هي الأولى التي فتحت الباب لهذا المناخ غير المؤلف من الغليان الذي طبع الشارع إلى غاية يوم 03 مارس ورغم لجوء السلطات إلى تسخير قوة أمنية كبيرة لمواجهتها وبسلسلة من الاعتقالات، إلا أن المظاهرات لم تتوقف حتى وعدت السلطات بالسماح للشيخ باستئناف دروسه.<sup>19</sup>

لقد عرفت الأشهر الموالية صعودا ونزولا في مستويات التوتر، فقد عاشت العديد من مدن الغرب الجزائري، وهي تلمسان وعين تموشنت وسيدي بلعباس ومستغانم مظاهرات نادية أصحابها بسقوط فرنسا وحياة الزعيم الألماني أدولف هتلر.<sup>20</sup>

وحفلت السنة الموالية بتحركات جماهيرية هامة، فخلال شهر ماي 1934م تصاعدت من كل أركان الجزائر أصوات وهتافات تندد بمشاريع " ميرانت " Mirante، وتم تنظيم مظاهرات في 12 مدينة على الأقل من المدن الرئيسية، ففي تلمسان تجمع أكثر من 8000 من الأهالي، وفي عنابة جرت مظاهرة ضخمة في نظام مثالي جدير بالقضايا العادلة، وفي جيجل تجمع 5000 شخص في الحظيرة الكبيرة لمصنع سديرة، وقام التجار كلهم حتى يبرزوا طابع المظاهرة وأهميتها بغلق محلاتهم منذ الساعة الرابعة مساء، وغادر العمال أماكن العمل، وفي تلمسان

تجمع أيضا حوالي 5000 شخص اختتم بإرسال عدة برقيات إلى مختلف الجهات الإدارية<sup>21</sup>، وتسجل هذه الحركات الشعبية التي لم يسبق لها مثيل بالجزائر والتي لم تكن منظمة تماما نهاية الاستسلام، وانطلاق مسار جديد.<sup>22</sup>

ولعل من المحطات التي تستوقف الباحث في هذه المرحلة ما حصل بمناسبة الفاتح ماي 1934م فقد وقعت مظاهرات هامة وبعضها كان عنيفا مثل التي وقعت في أرزيو، وسعيدة، ومستغانم، وعنابة وعرفت مشاركة مزدوجة جمعت بين العمال والبطالين الأهالي إلى جانب زملائهم الأوربيين، وهي التجربة التي استخلص منها الجزائريون دروسا بليغة مفادها أن الاحتجاج المنظم بوسعه تحقيق بعض فرص النجاح، وهو ما كان يتوجس منه الأوروبيون الذين كان يراودهم دائما فكرة استعمال المسلمين في مظاهراتهم، لكن الخشية من اكتساب هؤلاء لهذه الفنون النضالية كانت مدعاة للندم لديهم.<sup>23</sup>

لقد تعلم الشعب ربط الثورة بالسياسة، فأصبحت المظاهرات وسيلة كفاح، وكانت فعاليتها بالتنظيم فتبين أن المظاهرات أكثر فعالية من الكتابات، وبدأ عمل الشعب يتقدم نشاط السياسيين وكانت على الأقل البوادر التي كسرت حاجز التردد والخوف.

ومن المحطات البارزة في عقد الثلاثينيات أحداث قسنطينة 1934م، التي ذهب الكاتب جوزيف ديارمي إلى وصفها بأنها مظاهرات ظاهرها عداء لليهود، وباطنها عداء للفرنسيين، ودون الخوض في القراءات المتعددة التي أعطيت لها، فإننا نشير إليها هنا في سياق الحديث عن الحراك الجماهيري الذي حوّل الشارع إلى أداة لإبراز مواقفه الراضية للسياسة الاستعمارية، فهذه الأحداث التي كان منطلقها تصرفا طائشا لجندي يهودي جرح مشاعر المسلمين بالجامع الأخضر يوم الجمعة 03 أوت 1934م تبعها حالة من التوتر أدت إلى قيام المسلمين بمظاهرة شارك فيها أكثر من 10 آلاف شخص ونتج عنها اصطدامات مع يهود المدينة، فكانت الحصيلة مقتل 23 يهوديا و04 جزائريين وإصابة العشرات بجروح من الجانبين، وإلحاق خسائر بالمحلات والبضائع قدرت بـ 50 مليون فرنك.<sup>24</sup>

إن زخم الأحداث الذي طبع الساحة الجزائرية بين سنوات 1930-1935م، قد جعل بعض الفرنسيين لا يصدقون أن الجزائريين الذين كانوا في نظرهم هادئين وموالين لفرنسا سنة 1930م يصبحون بعد خمس سنوات يشكلون خطرا داهما، متجاهلين نمو الوعي السياسي لهؤلاء والذي ساهمت في بلورته الأحزاب والمنظمات الإصلاحية والصحافة الوطنية، فقد اعتاد الفرنسيون تفسير تصرفات الجزائريين تفسيراً غير سياسي في مختلف المناسبات<sup>25</sup>.

وفي تقدير أحد المعاصرين فإن المظاهرات التي عرفتها البلاد بين سنوات 1933م إلى غاية 1935م لصالح الحريات المختلفة، كانت تبرز المدى الكبير الذي بلغته شعلة النفوس، وتظهر درجة استعداد الجماهير الشعبية للعمل، لكن لغياب التحضير وفقدان التأطير توسمت بالعنف، بل وحملت في بعض الأحيان كرها للأجانب، فكانت أقرب بذلك إلى الانتفاضات منها إلى الكفاح الثوري، فهو يعتقد أن التحركات الشعبية لم تحظ بتأييد المنتخبين الذين استنكروا عملها من الوجهة السياسية رغم دفاعهم عن الجماهير المتورطة في العنف على صعيد القضاء<sup>26</sup>، فلم يكن العلماء والمنتخبون يريدون أن ينظر إليهم بصفتهم وطنيين فاحتجاجاتهم تدرج ضمن إطار السيادة الفرنسية، فقد انتهت المظاهرة الكبيرة التي نظمت بقسنطينة في 15 ماي 1934م وحضرها ابن جلول وابن باديس بالهتاف " عاشت فرنسا عاشت الجزائر " إن أسلوب الحذر كان باديا على نشاطهما، بينما وجدت الحركة الجماهيرية الاحتضان من طرف التيار الاستقلالي الذي لا يزال عندئذ يفتقر إلى التنظيم الكافي والانتشار الجغرافي<sup>27</sup>.

### نجم شمال إفريقيا والجماهير: خطاب وتفاعل.

من المعروف أن ظهور حزب النجم منتصف العشرينيات قد كان بفرنسا بعيدا عن أرض الوطن حيث خلق ميلاده مناخا جديدا وسط الجالية المهاجرة، وكان أن استفاد من عوامل كثيرة في تفعيل نشاطاته انطلاقا من عاصمة دولة الاحتلال، وهي الظروف التي لم تكن متاحة داخل الجزائر المستعمرة، وفي الواقع فإن الدارس لا يمكنه سوى الإقرار بالدور الحيوي الذي لعبه هذا الحزب وقيادته

وعلى رأسها الزعيم مصالي الحاج في تمزيق الستار القائم حول المشكلة الجزائرية، وإخراجها من النفق الذي وضعت فيه لعقود.

إن رصد أعمال الحزب خلال مرحلة الثلاثينيات، تبرز المستوى النضالي المتقدم والمقدرة العالية على جر الجماهير إلى الساحات والميادين التي طبعت أعمال الحزب في مواجهة السياسة الكولونيالية وهي عناصر نضالية يبدو أن التنظيم قد تميز بها عن بقية الفعاليات السياسية الوطنية.

فقد دأب النجم على استغلال المناسبات التاريخية التي تمثل معالم في الذاكرة العالمية أو الفرنسية ومن ذلك الاحتفاليات التي تنظم سنويا استحضارا لذكرى اليوم العالمي للعمال في الفاتح ماي واليوم الوطني لذكرى الثورة الفرنسية في 14 جويلية، وفي هذا الصدد شارك الحزب في الاحتفالية التي أقيمت بمناسبة 14 جويلية 1935م، حيث حضر مصالي الحاج بمعية العديد من المناضلين رافعين العلم الجزائري وشعارات التحرير من قبيل " حرروا شمال إفريقيا " و " حرروا سوريا " و " حرروا العالم العربي " وقد ضم الحشد الجماهيري 30000 عامل حسب جريدة الأمة.<sup>28</sup>

كانت سنة 1936م مليئة بالنشاط والحماس أيضا، ولكن هذه المرة بمسحة جزائرية خالصة فبمناسبة الفاتح ماي نظّم النجم استعراضا شعبيا بالجزائر العاصمة شارك فيه 20000 جزائري ترحلوا من ساحة أول ماي champs de Manœuvres إلى باحة الحكومة، رافعين العلم الوطني وهم يهتفون " يحيا استقلال الجزائر " <sup>29</sup>.

ومثلّ شهر أوت محطة رمزية مهمة في علاقة القيادات السياسية بالجماهير العريضة فخلال عقد اجتماع الملعب البلدي بمناسبة عودة وفد المؤتمر الإسلامي من باريس بتاريخ 2 أوت 1936م، تدخل مصالي الحاج بعد أن سمح له المنظمون بذلك فقال ( إن هذه الأرض المقدّسة، التي هي أرضنا ليست للبيع ولا للمساومة)، وهي الكلمات التي كان لها مفعولا سحريا على الحشود الجماهيرية التي كانت حاضرة، حيث وبعد نهاية الخطاب الذي دام عشرين دقيقة، التفت تلك الجموع

بالرجل وطافت به في أرجاء الملعب مع الهتاف بالعبارات الآتية: " تحيا الجزائر " و " يحيا مصالي " و " يحيا الاستقلال " و " يحيا الإسلام "، وحين غادر الملعب تشكلت ما يشبه المظاهرة حيث خرج إلى جانبه مئات المواطنين قاطعين المسافة الممتدة بين الملعب والفندق الذي يقيم فيه، وهم يهتفون بحياة الرجل مرددين أيضا عبارة " يحيا الاستقلال "، مما أعطى ذلك اليوم زحما خاصا جعله حاسما على المستوى السياسي حين أعلن التجمع المذكور إرادة الجزائر في التحرر<sup>30</sup>.

لقد توجت زيارة مصالي للجزائر في صائفة 1936م بإضافة رمز جديد من رموز السيادة المغتصبة فبعد العلم الوطني الذي تظاهر به النجم أول مرة بباريس سنة 1934م، بادر الشاعر مفدي زكرياء بنظم أول نشيد وطني بعنوان " فداء الجزائر"<sup>31</sup>، الذي يجسد مطلب الاستقلال، ويدعوا إلى وحدة الصفوف<sup>32</sup>.

افتتحت سنة 1937م بقرار السلطات حل النجم بتاريخ 27 جانفي، ولكن ذلك لم يجعل قيادته تترك الساحة، فقد اكتسبت مناعة نضالية في صراعها المتواصل مع الإدارة، فسارعت إلى خلق بديلا له يوم 11 مارس 1937م حمل تسمية رمزية مهمة هي حزب الشعب الجزائري، وكانت أهدافه لا تختلف في جوهرها عن سابقه، ومنها إنشاء حكومة وطنية وبرلمان، واحترام الأمة الجزائرية وخصوصياتها الحضارية وشيئا فشيئا حصل المولود الجديد على نجاح كبير لأنه أصبح معروفا في الأوساط الشعبية، ويحظى بمكانة ممتازة وسط المهاجرين في فرنسا أيضا، كما أصبح يمتلك جريدتين لمخاطبة منتسبيه وعمامة القراء وهما " الشعب " و " الأمة "، وراح يسعى لاستقطاب وتحريك الجماهير<sup>33</sup>.

اعتبارا من صائفة 1937م قرر قادة حزب الشعب الانتقال إلى أسلوب عقد الاجتماعات الكبيرة أمام آلاف الأشخاص من كافة الأطياف السياسية ومن كل جهات الوطن، وتمشيا مع هذا التوجه استعد الحزب لاقتناص اليوم الفرنسي لذكرى ثورة 1789م، ففي 10 جويلية 1937م علمت قيادة حزب الشعب أن الحزب الشيوعي الجزائري يحضر نفسه بحماس لتنظيم تظاهرة 14 جويلية باسم الجبهة الشعبية وعندئذ قرر التنظيم تحضير نفسه بهدف ضمان مشاركة أوسع

للمواطنين، وقد كانت إستراتيجيته تعتمد على المشاركة ولكن بموكب مستقل، يحمل علم الحزب ويتغنى بالأنشيد الوطنية وقد حضر الزعيم بنفسه رفقة محمد مستول وحسين لحول وزكرياء خليفة وغرافة إبراهيم وآخرون وانطلق الموكب من بلكور في اتجاه ساحة الحكومة، وقد رفع أعضاء الحزب علمان، الأول كلّه بلون أخضر يرمز للإسلام والثاني العلم الجزائري، يحمل اللونين الأخضر والأبيض تتوسطه نجمة وهلال باللون الأحمر وقد رفعه أحد المشاركين ويسمى عبد الرحمن<sup>34</sup>، ويؤكد مصالي أن زوجته هي التي قامت بخياطة العلم في مقر إقامتها بتلمسان، وأخفته عند شقيقته المسماة خيرة التي وقع الاتصال بها يوم 12 جويلية، وفي اليوم الموالي وصل العلم إلى مدينة الجزائر، وهو الذي رفع خلال المظاهرة وقبله الناس بجماعة<sup>35</sup>، وتقول جنينة مصالي بأنه قد رفع لأول مرة بالجزائر<sup>36</sup>.

وبوصول الموكب على مستوى مقر العمالة، صاح الجمهور المشارك " يسقط قانون الأهالي والقوانين الاستثنائية " و " تحيا الديمقراطية"، وفي تلك الأجواء كان الجزائريون والجزائريات يقبلون العلم الوطني ويصلّون، ويبعثون هتافات الفرح والزغاريد، وهكذا انتشرت أخبار المظاهرة في كل مكان وتقاطرت الجموع من أعالي المدينة ومن القصبة حتى بلغ عدد المشاركين زهاء 20000 وكان من المشاهد المؤثرة ذات الدلالات القوية رؤية العيون تذرّف الدمع عند مشاهدة العلم، وسماع نشيد حزب الشعب الشهير يتردد على طول المسلك.

لم تشهد العاصمة شيئا مماثلا من قبل، وقد تحدّث الجزائريون والجزائريات مدة طويلة في المدن والأرياف عن هذه المظاهرة، ومنذ ذلك الحين أصبح مناخ حزب الشعب يستعملون في دعوتهم الاستقلالية رمزين رهيبين هما العلم الوطني ونشيد فداء الجزائر، وقد مكّنهم ذلك من تحقيق سبق لا جدال فيه على منافسيهم من الحركات الإصلاحية، ما لبث أن تحول إلى مدّ وطني قاهر على حساب تلك الحركات جميعا، وهو ما حرّك الصحافة الاستعمارية التي لم تغفل الإشارة إلى ذلك، بل دعت في حالة هيجان إلى القيام بإجراءات صارمة واضطهادية وعمليات توقيف<sup>37</sup>.

وبالنسبة لمعسكر الاستعمار لم يكن لتلك التحركات سوى أن تضاعف من مستويات القلق ونلمس من ترجمة بعض فقرات أحد التقارير بعنوان ضغط اجتماعي صدر في أواخر شهر مارس 1937م حول الحالة العامة عبر مجموع المستعمرة، تلك التخوفات التي أخذت تنتاب الإدارة الفرنسية على خلفيتها التحولات الفكرية للأهالي في الأشهر التي مضت حيث جاء الآتي: (إن الجماهير الأهلية أصبحت في غاية التشويش، تتخذ المهرجين المعروفين من السياسيين أصدقاء لها، تأتمر بجميع أوامرهم إلى حد التشنج، واندفاعها هذا أحدث بكل سرعة حالة خطيرة أمام قوات الأمن)<sup>38</sup>.

ولعل من اللافت في نهاية الثلاثينيات تحول مراسيم تشييع جنائز قيادات حزب الشعب إلى مظاهرات ترفع مطالب تحمل الصبغة السياسية، ففي هذا السياق سار في شوارع مدينة الجزائر يوم 14 أبريل 1939م زهاء 15000 شخص من بينهم زوجة مصالي لتشييع جنازة كحال أرزقي عضو اللجنة المديرة للحزب، والذي توفي في السجن حيث ردد المشاركون النشيد المشهور فداء الجزائر<sup>39</sup>.

وقبل أن تطبق المواجهة الامبريالية الثانية على المشهد المحلي والدولي، جسدت مظاهرات 14 جويلية 1939م نهائيا تفوق حزب الشعب الجزائري على باقي الأحزاب على ما ذهب إليه أحدهم حيث أن هذه المظاهرة جمعت 25000 جزائريا إلى جانب الجبهة الشعبية، رفعت خلالها الشعارات المألوفة " برلمان جزائري" و" الحرية للجميع" و" الأرض للفلاحين" و" احترام الإسلام"<sup>40</sup>.

وفي التحاليل المتعلقة بتفسير موجة الاضطرابات والاحتجاجات التي عاشتها الجزائر في عقد الثلاثينيات، طرح المؤرخ أبي القاسم سعد الله جملة من التساؤلات حول دوافع شعور التحدي الذي تميز به الجزائري في هذه المرحلة، وعدد بعضا من التفسيرات التي ساقها أعلام أجنبية، حيث قصّرها البعض على الدوافع الاقتصادية، و أوعزها آخرون إلى عوامل سياسية وجنح بها تيار ثالث إلى محركات عرقية، وبعد أن خلص إلى التأكيد بعدم الحزم وترجيح عامل على آخر، رأى بأن الأسباب

مختلطة ومتشابكة، موضحاً بأن الشيء البارز في تلك الأثناء هو اليقظة السياسية والثقافية التي شهدتها الجزائر، وأدت في النهاية إلى الشعور بالذات الوطنية، والتي اكتسبت صلابة في معادتها للحكم الفرنسي.<sup>41</sup>

وقبل إسدال الستار على عهد الثلاثينيات الخصب، نستطيع أن نقول أن قوة الجماهير أخذت تفرض نفسها في الشارع الجزائري، ولم تعد فكرة الممارسة النخبوية الأفقية باسم تلك الجماهير تلقى النجاح، ولعل لجوء الرموز الحزبية الشهيرة إلى اعتماد الخطاب الشعبي في أدبياتها ما يؤشر بقوة على هذا التحول تجاه قدرة الشعب على تغيير أوضاعه وصنع مصيره.

### تطور حركة المظاهرات الشعبية 1945-1954م:

لقد تغير وجه العالم بعد المواجهة الكونية المدمرة 1939-1945م، وكشفت عمليات المسح التي أعقبتها، إلى أي درجة كانت المجتمعات الإنسانية في حاجة إلى إعادة النظر في منظومة العلاقات التي تحكمها، فحدقت العيون وخامرت العقول الكثير من الصور عن شكل هذا العالم الموعود، ولكن يبدو أن هذا الترقب للغد الأفضل لم يكن يعني الجزائريين، فقد تحول الحلم إلى كابوس قاتل، واتضح أن المستعمرين لم تتغير فلسفتهم ولا ممارساتهم تجاه ضحاياهم.

وسط هذه التجاذبات، تحدث البعض على أن فصل الربيع للعام 1945م بالجزائر لم يكن موسماً لقطف الورد، بل على الخلاف من ذلك، أخذ المشهد يميل إلى السواد، وهكذا ظهرت العبارات المكتوبة على الجدران توحى بأن هناك شيئاً يستحق الاستعداد، وذكر معاصر مجموعة من العبارات مثل " استعدوا فإن ساعة الصفر قد قربت " و " أيها الجزائريون حاربوا من أجل الحرية " و " أيها الجزائريون إن الجبال تناديكم "، وهي الكتابات التي وجدت في عدد من المدن، مثل جيجل وبسكرة ونواحي قالمة، وقد عكس أحد التقارير الرسمية هذا الأمر، عندما أكد بأن الجو كان مشحوناً بالتوتر بين الجزائريين والفرنسيين<sup>42</sup> وبدأ التصادم مبكراً في أجواء احتفالات الطبقة العاملة بيومها الدولي تكريساً للتقليد السائد.

## مظاهرات فاتح ماي 1945م: بالون الاختبار

كان يوم فاتح ماي اليوم العالمي للعمال تاريخاً للمواجهة الأولى، فقد كان فرصة مواتية للإعراب عن رغبات الشعب، حيث خرج المتظاهرون للتعبير عن حاجتهم إلى التحرر، ولإظهار قوة حركتهم أمام العالم، واغتنم حزب الشعب الفرصة، ليجعل المشاركة في المظاهرات أكثر تميزاً عن الفرنسيين فكانت المواكب الاستعراضية الجزائرية تتجنب بعناية المواكب الاستعراضية النقابية الأوربية، وسجل دخول النساء على الخط بإطلاق الزغاريد المدوية، وبث الحماس في المتظاهرين، الذين كانوا يرفعون أحياناً العلم الأخضر والأبيض ذا النجمة والهلال<sup>43</sup>.

بدا واضحاً تعطش الشعب لرفع مطالبه، فانطلقت موجات الحشود بأعداد كبيرة خاصة في مدن الجزائر والبليدة ووهران مرددة نشيد " فداء الجزائر"، وعبارات " يحيا الاستقلال" و" أطلقوا سراح مصالي"، التي كتبت على لافتات باللغات الثلاث العربية والفرنسية والانجليزية، وقد عجز المنظمون التابعون لحزب الشعب عن تهدئتها، وكان رد قوات الشرطة إطلاق الرصاص<sup>44</sup>، فكانت الحصيلة سقوط 07 قتلى، وأزيد من 50 جريحاً، واعتقال العشرات من المواطنين<sup>45</sup>.

وإذا كان البعض قد أشار إلى أن حركة أحباب البيان والحرية هي التي دعت إلى المشاركة مع الفرنسيين في تظاهراتهم بطريقة سلمية، مع رفع لافتات تحمل تذكيراً بمقررات الأطلنطي، إلا أن فرحات عباس يؤكد أن حزب الشعب هو من قام بتنظيم مظاهرات فاتح ماي 1945م ضد بقاء مصالي الحاج في الإقامة الجبرية، وحملت رواية أحد المعاصرين وهو محمد يوسف، الذي كان ناشطاً ضمن لجنة شباب بلكور التابعة لحزب الشعب بالعاصمة ما يدعم مقولة فرحات عباس، حيث ذكر أن التحضير لمظاهرة الفاتح ماي قد تم بطريقة محترفة من حيث تحديد المسار الذي سلكته والشعارات التي رفعتها " يسقط الاستعمار" و" عاشت الجزائر حرة"، موضحةً طابعها السلمي استجابة لتعليمات حزبه، التي تمنع حمل السلاح، مع العمل على ضمان أن تظل التظاهرة سياسية<sup>46</sup>، وهذا الطابع السياسي والوطني لا يمكن دحضه، فالحزب بخروجه إلى الشارع قدم برهاناً على تمدده في كل أنحاء

البلاد، وأثبت قدرة مناضليه على تحريك الجماهير الجزائرية وتجنيدها خلف شعاراته<sup>47</sup>.

سارت المظاهرات في عديد المدن الجزائرية، حيث أحصت مدينة وهران 10000 شخص وقالة 8000 مشارك، وقارب العدد في مدينة سطيف 5000 متظاهر، لتليها تبسة بـ 4500 شخص، ونزل هذا الرقم إلى 2000 متظاهر في مدينتي عنابة وبجاية، وكان الحشد يضم ما بين 500 إلى 1000 شخص في مدن مستغانم وسيدي بلعباس وخنشلة وباتنة وبسكرة وسعيدة وتلمسان وعين البيضاء وشرشال وغليزان.

رغم التباين في درجة التنظيم، ومستوى المشاركة، ودرجة الصدام مع الإدارة الاستعمارية، غير أن اللافت كان تناغم الشعارات المرفوعة والتي حملت بوضوح الطابع السياسي، ولعل البارز فيها أيضا حضور العلم الوطني منفردا تارة، ومختلطا بأعلام الحلفاء تارة أخرى<sup>48</sup>.

وفي سياق تحميل المسؤوليات، أصدر الحزب الشيوعي الجزائري بيانا تضمن إدانة مباشرة وبوضوح لحزب الشعب، واصفا إياه بأنه يمثل امتدادا للنازية ( إن التحريض الذي يقوم به حزب الشعب الجزائري إنما يتلقى أوامره من برلين، من هتلر... إن حزب الشعب الذي يتنامى في المحافظات الثلاث، يدعو إلى استقلال الجزائر وبناء المقاومة المسلحة الجزائرية، زارعا البغضاء بين الجزائريين بتنظيم الاضطرابات )<sup>49</sup>.

يذهب معاصر إلى أن التعارض بين أهداف وإرادة الشعب الجزائري والمستعمر قد بلغ أشده في شهر ماي 1945م، فقد كانت السلطات الكولونيلية مدركة لنتائج المظاهرات على الصعيدين الداخلي والخارجي، حيث كانت القوى السياسية المتنامية تمثل خطرا على النظام الاستعماري وأوهامه، إن تجاهل النظام الاستعماري لحركة التاريخ، ورفضه الاعتراف بالواقع الوطني الجزائري، أدى به إلى سلوك طريق القمع والمواجهة مع الجزائريين<sup>50</sup>، حيث لم يكن معقولا الرضوخ لمطالبهم في نظر المعمرين وبالتالي لا يمكن فتح النقاش السياسي مع شعب غير

موجود<sup>51</sup>.

وفي إفادة الحسين آيت أحمد جاء: ( لا يمكن فصل أحداث أول ماي عن المنطق القمعي والديناميكية الثورية، فإذا كان هدف السلطة إرهاب الرأي العام الجزائري، فإنها لم تحقق هدفها فسياسة الأسوأ تؤدي دائما إلى تكثيف التأزر العاطفي بين الناس، وفي هذه الحالة بالذات، أدت إلى تحول نفسي وسياسي حقيقي)<sup>52</sup>.

يمكن التأكيد أن تظاهرات الأول من ماي، كانت بالفعل تمهيدا وتجييدا مسبقا لتلك التي ستحدث بعد عدة أيام، فهي قد حملت المميزات نفسها<sup>53</sup>.

### مظاهرات الثامن ماي 1945م القطيعة والمنعرج

تعد مظاهرات الثامن ماي بما حملته من عنف وإرهاب غير مسبوق تجربة بالغة التأثير في الحياة السياسية الوطنية تحت الاحتلال ومنعرجا حاسما رسم ملامح المرحلة المستقبلية وحدد وجهة الجزائريين النهائية ولو بعد حين، ذلك أنها مزقت آخر ستار كان يلف المستعمر، وأحدثت تحولا عميقا في رؤية غالبية قادة التيارات الوطنية لمآل القضية الجزائرية.

لخص أبو القاسم سعد الله الوضع القائم عشية تفجر الحوادث بأن الجزائريين كانوا يعيشون وعيا كاملا وانتظارا لساعة الخلاص، بينما كان يقابل ذلك حالة من التربص والاستعلاء من لدن الفرنسيين للانقضاض عليهم في أول فرصة تتاح<sup>54</sup>. في الثامن ماي 1945م، وبعد أن قررت السلطات الاستعمارية السماح للفرنسيين والجزائريين بالمشاركة في الاحتفالات بانتصار الحلفاء على النازية والفاشية، اغتنمت قيادة حزب الشعب الجزائري الفرصة للمشاركة في هذه المظاهرة، فاستنفرت مناضليها والمتعاطفين معها ودعت إلى التقيد بالطابع السلمي، ووضّحت الشعارات التي يجب رفعها وتعلق بتحرير المعتقلين السياسيين وتحرير الجزائر.

سارت المواكب في أغلب مدن الجزائر، عدا العاصمة ووهران بفعل مخلفات اضطرابات الفاتح ماي كانت الكشافة تتصدر الصفوف بلافتات تحمل العديد من الشعارات: " تحيا الجزائر حرة " و" أطلقوا سراح مصالي " و" يسقط الاستعمار

والفاشية " و " يجيا ميثاق الأطلسي "، وإذا كانت المظاهرات قد تفرقت أو تم تفريقها دون أن تخلف ضحايا، أو عرفت حوادث طفيفة، فإن المظاهرات بالشرق الجزائري أخذت منعرجا خطيرا حيث تحولت إلى عمليات إبادة قام بها المستعمر ضد قطاعات واسعة من الشعب الجزائري<sup>55</sup>.

لقد تصرفت السلطات الاستعمارية كأنها في حرب ضد شعب قام بثورة تحريرية، ووظفت كل الوسائل العسكرية لإخمادها، وكانت الحصيلة مرعبة تضاربت أرقام ضحاياها، فهي 45000 قتيل عند حزب الشعب و15000 حسب الجنرال توبرت المكلف بلجنة التحقيق التي لم تنشر خلاصة أعمالها أبدا<sup>56</sup>.

إن عنف القمع المسلط غير قابل للجدال، ولا يمكن تبريره بأي حال، لكن من الممكن الخوض في تفسيره، فقد اعتقد الجنرال ديفال قائد منطقة قسنطينة بأن منع عدوى التمرد كما استخلصه، تقتضي الحزم الشديد في التعامل، وقد يكون نجاح على المدى القصير، ولكن هوة الحقد والكراهية التي حفرها بين المجموعتين الجزائرية والأوربية، لن يكون ممكنا ردمها أبدا<sup>57</sup>.

إن التفسيرات المرددة من لدن الفرنسيين، والتي تركز على العوامل اقتصادية، تمثل تعميمات مقصودة عن الحقيقة، فالحكومة الفرنسية نفسها تعي تماما أن الشعب الجزائري لم يسبق له أن قام بمظاهرة من أجل الخبز، بل كان خروجه للشارع متظاهرا أو محتجا ديفا للظلم والاضطهاد والعنصرية وللمطالبة بالحرية والكرامة الوطنية، وقد لاحظ عديد المتبعين أن الوطنيين الجزائريين لم يستعملوا في شعاراتهم وفي لافتاتهم التي تم رفعها أية عبارات تشير إلى المجاعة والحالة الاقتصادية بل كانت المطالب كلها سياسية<sup>58</sup>.

ودون الخوض كثيرا في تحديد الجهات التي كانت وراء الحراك الجماهيري بفعل تعدد وتضارب الروايات المتعلقة بهذا الأمر، على الرغم من أن غالبية الآراء تتجه إلى تأكيد وقوف حزب الشعب وراء الدفع بالجماهير إلى التظاهر، باستخدام الراية الوطنية والشعارات المعلومة.

ويكفي هنا أن نورد شهادات إطارات قيادية في حزب الشعب تؤكد وقوف

التنظيم وراء الدعوة إلى التظاهر، فالمناضل شوقي مصطفى ذكر بأنه هو من قام بتحرير التعليمات في هذا الشأن، والتي تنصص على الطابع السلمي ويعضده في ذلك المناضل السعيد عمراني، الذي تحدث على أن الأوامر التي وجهت للمناضلين طلبت منهم رفع العلم الوطني مصحوبا بأعلام الحلفاء بما في ذلك علم فرنسا مما أثار نقاشات مطولة بين المنظمين<sup>59</sup>.

وعلى النقيض من هذا الرأي، ذهب كوادر أخرى من ذات التنظيم، ومن بينهم الأمين دباغين وأحمد بودة وأحمد مهساس، إلى إلقاء مسؤولية الأمر بالتظاهر على قيادة أحباب البيان<sup>60</sup>، بينما جاء طرح بن يوسف بن خدة على ما يبدو توفيقيا بين الفصيلين، حيث أفاد بأن قيادة حزب الشعب قد كانت فعلا وراء القرار، ولكنها فضلت تبليغه إلى القاعدة النضالية بواسطة أحباب البيان والحرية وعبر ممثلي الحزب في هذه الحركة<sup>61</sup>، ومن جهتنا نعتقد أن عملية الفرز السياسي إلى غاية تلك اللحظة التاريخية لم تكن ممكنة على اعتبار أن الكثير من المناضلين كانوا ينشطون تحت مظلة التنظيمين.

أما فرحات عباس فلم يقر بالمسؤولية، حيث رأى أن حركته التي اجتاحت البلاد وأصبحت تضم نصف مليون منخرط، أضحت مستهدفة من المعمرين الذين أخذوا يجيكون لها المؤامرات في الخفاء للإجهاد عليها، مستشهدا في هذا الباب بما قاله الوالي لسطراد كاربونيل listrade Carbonal للدكتور سعدان، بأن اضطرابات ستقع عن قريب، وسيعقبها حل تنظيم كبير أثناء لقاء جمعهما في شهر أفريل 1945م<sup>62</sup>، بما يفهم منه رائحة المؤامرة المعدّة سلفا.

وفي رصد المواقف المتفاعلة مع المسألة، يكفي أن نشير إلى تناغم طرح الحزب الشيوعي الجزائري مع بقية الاتجاهات الفرنسية، حين تم تفسير المظاهرات بعوامل الجوع والتحرير، ومن ثمة جرى توجيه نداء إلى الشعب الجزائري من أجل مطاردة المشوشين من أنصار هتلرية<sup>63</sup> وهو الموقف الذي أبان في نظرنا عن قصور في تحليل الحركة الجماهيرية الجزائرية وتلمس مستويات وعيها وسنكتفي هنا بهذه الإشارات المقتضبة، على اعتبار أن الخوض في تفصيل هذا الأمر يخرج الدراسة عن

الخط المرسوم لها.

ومهما كانت التأويلات والاعتبارات فإن أحداث ماي 1945م شكلت علامة بارزة للمشاركة الجماهيرية في النضال الثوري على أوسع نطاق، وأعطت بذلك معنى التحول النوعي لصالح الحركة الوطنية، وعن هذا المعنى الجديد كتب محمد بوضياف ( يعتبر يوم 8 ماي 1945 بالنسبة لمناضلي جيلي نقطة انطلاق لوعي وقطبية، ووعي بضرورة البحث- زيادة عن مجرد المطالبة بالاستقلال- عن الطريق الذي يجب إتباعه والوسائل التي ينبغي استعمالها من أجل التوصل إليه ).<sup>64</sup>

ويرى أحد المعاصرين، أن هذه الحوادث التي وقعت في أيام قلائل، لكنها خلفت ألاما وجروحا أدمت قلب إنسانية القرن العشرين، ونقشت بالحرف الغليظ مدى همجية التمدن الفرنسي في الجزائر.<sup>65</sup>

والظاهر أن خطة الفرنسيين من وراء عمليات ماي القمعية كانت تستهدف إسكات الصوت الجزائري غير أن أمد ذلك لم يطل، وهكذا سجل المؤرخون عودة التحركات الجماهيرية مع مطلع الخمسينيات وهي التحركات التي قادتها أساسا الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية التي يبدو أنها قد تعافت من بعض أزماتها الداخلية على غرار أزمة صراع القيادة والأزمة البربرية، فكان أن لجأت مجددا إلى سلاح الشارع للضغط على الإدارة الاستعمارية ومحاوله جلب انتباه الرأي العام ويمكننا في هذا السياق إدراج المظاهرات الحاشدة التي نظمتها في الفاتح ماي 1950م بالعاصمة باريس والتي خرج فيها 40000 جزائري مجاهدين بحقهم في الاستقلال، وهم يحملون الراية الوطنية،<sup>66</sup> وهي التظاهرة التي عكست لا محالة جرأة قيادة الحزب، وشجاعة الجماهير المشاركة أيضا.

### مظاهرات 14 جويلية 1953م بباريس: الجريمة والسكوت

تعد مظاهرات 14 جويلية 1953م خاتمة مسيرة الحراك الجماهيري الذي سبق تفجير الثورة التحريرية ففي قلب العاصمة الفرنسية وفي يوم الاحتفاء بالحريات وبالقيم الجمهورية التي تولدت عن هذا التاريخ الرمزي، كانت ساحة الباستيل على موعد مع التاريخ، فمنها انطلقت المظاهرات الاحتفالية بينما كانت ساحة الأمة

نقطة التجمع لإلقاء الخطب والكلمات، لكنها تحولت إلى موقعة لحمام من الدماء تورطت الشرطة الفرنسية في اقترافه، وقد كتبت جريدة l'Humanité في تعليق لها على الحوادث المأساوية في اليوم الموالي بأن باريس لا يمكنها أن تنسى أبدا مظاهرات 14 جويلية 1953م، وتحيي ضحاياها من الجزائريين والفرنسيين العظماء الذين سقطوا جنبا إلى جنب في هذا اليوم الوطني للديمقراطية<sup>67</sup>.

وتحدثت الشهادات على أن موكب المتظاهرين الجزائريين التابعين لحركة الانتصار والذين كانوا على امتداد ما يناهز 300 متر، قد تميز بالانضباط، وفي لحظة الانسحاب أخذ رجال الشرطة في مهاجمتهم وتفيد شهادة الطبيب بيرنار مورن بأنه لاحظ شرطين يطلقون النار من مسدساتهم بتصويب مباشر على الضحايا وبكل برودة، فكان مشهد القتلى تحت الأمطار حيث سقط 06 جزائريين وفرنسي واحد، كما أصيب 44 متظاهرا بجروح خطيرة<sup>68</sup>.

وقد عبر الأديب الجزائري محمد ديب عن سخطه للتراجيديا التي حصلت في مقال له نشر بتاريخ 23 جويلية 1953م في "رسائل فرنسية" les lettres «françaises» اختار له عنوانا مؤثرا لا يحتاج إلى تحليل وهو "حجل أمام التاريخ"، وقد شاركته هذا السخط والإدانة الكاتبة فرنسواز دوبون Françoise d'Eaubonne التي ضمنت العدد ذاته شعرا يرثي أحد المناضلين الجزائريين الضحايا وهو العربي ضاوي<sup>69</sup>.

خلفت عمليات القمع التي طاولت المتظاهرين السلميين ردود أفعال مستنكرة، ومن ذلك الاحتجاجات التي رفعتها "لجنة فرنسا-المغرب"، التي طالب أعضاؤها بإيجاد حلول إنسانية وحقيقية للمشاكل المؤلمة المطروحة في شمال إفريقيا<sup>70</sup>، وتواصلت حملة التنديد بالهمجية التي أبداها عناصر الشرطة، حيث قام يوم 22 جويلية 1953م زهاء 20000 شخص بالحضور في جنازة الضحايا تكريما لهم، وتوالت الوقفات الاحتجاجية، ولعل من المواقف الصادمة للسلطات الرسمية إقدام وزير الداخلية ومحافظ الشرطة على خلق فرقة متخصصة في قمع الشمال إفريقيايين، وهي التي عرفت اختصارا بتسمية BAV<sup>71</sup>، والتي شنت حملة

دهم بالدائرة الحضرية الخامسة بباريس، حيث تم توقيف العديد من الجزائريين الذين تعرضوا للاستنطاق والضرب داخل مقر محافظة الشرطة بسبب مشاركتهم في مظاهرات 14 جويلية<sup>72</sup>.

ومن جهتها شنت نقابة CGT إضرابا تضامنيا مع العمال الجزائريين، واستنكرت حملة التوقيفات التي تعرض لها عدد من المشاركين في هذه المظاهرات، وعلى صعيد ردود الفعل أيضا قدم بعض أعضاء البرلمان الفرنسي استجابا للحكومة، وتم شجب العنصرية المفضوحة التي أظهرها رجال الشرطة وعمليات القمع الكولونيالية، ووجهت الاتهامات إلى وزير الداخلية بقمع مظاهرة مرخص لها وتميزت بتنظيم محكم<sup>73</sup>.

وتبعا لمخلفات هذه الحوادث ورغبة من السلطات الفرنسية في منع تكرارها والحيلولة دون توظيف هذه الرمزية من قبل التيار الشيوعي وأيضا من لدن المناضلين الجزائريين، فقد تقرر حظر كل أشكال المظاهرات والمواكب المنظمة بباريس، ولاسيما التظاهرات السنوية التقليدية بمناسبةي الفاتح ماي والرابع عشر جويلية، واستمر هذا المنع إلى غاية سنة 1968م<sup>74</sup>.

ولعل من المستحقات المتعلقة بهذه الأحداث المأساوية التي ظلت في طي النسيان لدى الطرف الفرنسي، ومحل تجاهل من قبل المؤرخين الجزائريين، ومغيبة من التناول الرسمي للتاريخ، نسجل العمل التوثيقي المتمثل في الفيلم الذي أنجزه المخرج الفرنسي دانيال كوفيرشتاين تحت عنوان " رصاصات 14 جويلية 1953م " " Les balles du 14 juillet 1953 "، حيث تطرق على امتداد 90 دقيقة إلى عمليات القمع الوحشي التي استهدفت مناضلي حركة الانتصار والمتظاهرين الجزائريين على العموم وقد وظف المخرج العديد من الشهادات لنقاييين ومناضلين وأيضا لمؤرخين، وفسح المجال كذلك لشهادات شرطيين اثنين شاركا في إطلاق النار على المتظاهرين آنذاك، وتطرق من جهته المؤرخ إيمانويل بلانشير إلى النتائج التي تلت تلك المظاهرات على غرار تأسيس فرق قمع جديدة في الشرطة الفرنسية، برزت خصوصا في مظاهرات 17 أكتوبر 1961م و8 فيفري 1962م<sup>75</sup>.

والواقع أن تجربة التظاهر بمواكب مستقلة قد مثلت تحديا خاضته حركة الانتصار منذ مطلع الخمسينيات، فغالبا ما كانت في وضعية عدم تفاهم مع منظمي هذه التظاهرات ولاسيما في مناسبتين لهما دلالات رمزية كبيرة لدى الفرنسيين، ويتعلق الأمر بالفتاح ماي والرابع عشر جويلية من كل عام ويرى أحد الكتاب بأن الجزائريين بفرنسا قد انفردوا بهذا الأسلوب التعبيري عن المطالب السياسية بينما تحاشى الفيتناميون مثلا اللجوء إلى هذا الخيار، وفضلوا الاندماج في تظاهرات الأحزاب الشيوعية ونقائبي الكنفدرالية العامة للشغل.

لقد كشف تتبع تجربة النضال الجزائري خلال الخمسين سنة التي سبقت الثورة عن تنوع وثرء في الاتجاهات والمطالب، التي تراوحت بين الدعوة إلى الذوبان في الميتروبول وبين القطيعة التامة والاستقلال الوطني، مروراً بطروحات من قبيل الحكم الذاتي أو الاتحاد الفدرالي، وقد طبع المرحلة صعود وهبوط في درجة الآمال، ووسمها عناد مستمر وتعرضت لحيات عديدة قاسية، ولكنها صقلت الاتجاه الوطني العام بما قاد في نهاية المطاف إلى حتمية التصادم مع المحتل، وقد لخص الباحث سليمان الشيخ هذا التطور وإفرازاته عندما قال ( كل هذا، قد شكل الحصيلة المشتركة للتجربة التي ورثتها حركة التحرير الوطني، وساهم في تعزيز الشعور الوطني داخل الجماهير الشعبية، وجعل قطيعة أول نوفمبر 1954م أمراً لا مندوحة عنه ).<sup>76</sup>

والحقيقة أن الذي يستوقف المتمعن في المسيرة الوطنية النضالية الممتدة على مدار النصف الأول من القرن العشرين، هو تلك التحولات في المفاهيم والأفكار وآليات الكفاح التي لجأ إليها الجزائريون الذين أظهروا مقدرة على التكيف مع المناخ الحاصل محليا وعالميا، متأثرين عن طريق المشاركة والاحتكاك بما حمله القرن الجديد من نقلة نوعية في الأفكار والأساليب النضالية، ومحاولين استثمار هذا الواقع لزرحة المسلمات الكولونيالية التي حاول الفرنسيون تثبيتها، والقائمة على ترسيخ نظرية السيد والمسود، وتفكيك التركيبة التي تجعل الجزائري كائنا بلا موقع في الخريطة الوطنية.

لقد بينّ تتبع تطور الموقف الجزائري من الواقع الاستعماري الجاثم، أن دخول

الجماهير على الخط النضالي قد خلق جوا لم يكن معروفا، وربما لم يتوقعه مهندسو الظاهرة الاستعمارية، حيث تجاوزت حركة الشارع في قوة طرحها وجرأتها ما حملته حقائب النخب السياسية الناشطة حينذاك التي لم تستطع مسايرة العنفوان الشعبي المتدفق الذي رسم خطا تصاعديا تلى الاحتفالات القرنية المذلة بل أن معظمها قد استبعد تنظيرا وممارسة العمل الشعبي من براجمه باستثناء الاتجاه الثوري ممثلا في النجم ونسخه اللاحقة، الذي جعل من إقحام الجماهير عاملا أساسيا في دفع فرنسا إلى مراجعة سياستها منطلقا من السباحة في داخل الحوض الفرنسي نفسه بالهجوم إلى الشارع عبر مناسبات مختلفة على مستوى عاصمة الميتربول باريس، قبل أن يقود الحركة الشعبية داخل أرض الوطن ويدخل عهدا من المواجهة كشفت إلى أي مدى لا يزال الفكر الاستعماري يسير خارج حركة التاريخ.

- 1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج 2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 ص102.
- 2- المرجع نفسه، ص107.
- 3- المرجع نفسه، ص110.
- 4- المرجع نفسه، ص112.
- 5- المرجع نفسه، ص113.
- 6- مدينة دو روفيقو: بلدية بوقرة حاليا في ولاية البليدة، وقد تظاهر بها 3000 شخص رافضين التجنيد ومقاتلة إخوانهم بالمغرب الأقصى.
- 7- المرجع نفسه، ص188.
- 8- المرجع نفسه، ص189.
- 9- شارل رويبر أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919م، ج 2، نقله إلى العربية م حاج مسعود، ع بلعربي، دار الرائد للكتاب الجزائر، 2007، صص715،716.
- 10- المرجع نفسه، صص735،736.
- 11- المرجع نفسه، ص742.
- 12- فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها ليل الاستعمار، تعريب أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د.ت، ص162.

- 13 - أحمد مهساس، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة الحاج مسعود مسعود ومحمد عباس منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002، ص ص 40، 41.
- 14 - المصدر نفسه، ص 78.
- 15 - المصدر نفسه، ص 78.
- 16 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط6، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 16. ينظر أيضا: محفوظ قداش تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول 1919-1939م، ترجمة أحمد بن البار، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011 ص 336.
- 17 - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954م، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2008 ص 295.
- 18 - المصدر نفسه، ص 23.
- 19 - المصدر نفسه، ص 44. ينظر أيضا: محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية الجزء الأول 1919-1939م، المصدر السابق ص 372.
- 20 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط6، المرجع السابق، ص 47.
- 21 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية الجزء الأول 1919-1939م، المصدر السابق، ص ص 414، 415. ينظر أيضا: أحمد مهساس، المصدر السابق ص 108.
- 22 - أحمد مهساس، المصدر السابق، ص 108.
- 23 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية الجزء الأول 1919-1939م، المصدر السابق، ص ص 375، 376.
- 24 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط6، المرجع السابق، ص 48.
- 25 - المرجع نفسه، ص 127.
- 26 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول 1919-1939م، المصدر السابق، ص ص 371، 372.
- 27 - المصدر نفسه، ص 382.

28- Djanina Messali-Benkelfat , Une vie partagée avec Messali hadj mon père , Hibr éditions et Lazhari labter éditions, Alger, 2013, p 39.

- 29 - بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية ثورة أول نوفمبر معالمها الأساسية، دار النعمان للطباعة والنشر، ب.م، 2012، ص 102.
- 30 - مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1898-1938، ترجمة محمد المعراجي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص ص 202-204. ينظر أيضا: عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج2 (1936-1945) ط2 منشورات الساتحي، الجزائر، 2008، ص16.
- 31 - نظّمه سنة 1936م، ومما جاء في مطلعته: فداء الجزائر روحي ومالي ... ألا في سبيل الحرية.
- فليحي حزب الاستقلال ... ونجم شمال إفريقيا.
- ولتحي الجزائر مثل الهلال ... ولتحي فيها العربية.
- ينظر نص النشيد كاملا في: مفدي زكرياء، اللّهب المقدّس، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص ص 89،90.
- 32 - محمد عباس، نصر بلا ثمن الثورة الجزائرية 1954-1962م، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2007، ص 34.
- 33 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط6، المرجع السابق، ص 144.
- 34 - مصالي الحاج، المصدر السابق، ص ص 230،231.
- 35 - المصدر نفسه، ص ص 231،232. ينظر أيضا: Djanina Messali - Benkalfat , Op-Cit, p 42.
- بنجامين ستورا، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898-1974، ترجمة الصادق عماري، مصطفى ماضي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002، ص ص 169-171.

36 - Djanina Messali - Benkalfat , Op-Cit, p 42.

37 - مصالي الحاج، المصدر السابق، ص ص 231،230

38 - أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر 1914-1954 (طبعة خاصة )، دار

- المعرفة، الجزائر، 2007، ص ص 74، 75.
- <sup>39</sup> - حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص 84. ينظر أيضا: أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر 1914-1954م، المصدر السابق، ص 173. وأيضا: Djenina Messali Benkalfat, op.cit, p53.
- <sup>40</sup> - أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر 1914-1954، المصدر السابق، ص 173.
- <sup>41</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط6، المرجع السابق، ص ص 39، 38.
- <sup>42</sup> - عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 232.
- <sup>43</sup> - شارل روبري أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عياش سلمان، ج2، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008، ص 929.
- ينظر أيضا: صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية: صنعوا أول نوفمبر 1954، دار الكتاب الحديث، 2010 ص 21.
- <sup>44</sup> - محمود آيت مدور، الحركة النقابية المغاربية بين 1945-1962م: الجزائر وتونس نموذجاً دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2013، ص 50. ينظر أيضا: صالح بلحاج، المرجع السابق، ص 21.
- <sup>45</sup> - عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 374.
- <sup>46</sup> - رضوان عيناد ثابت، 8 أيار ماي 45 والإبادة الجماعية في الجزائر، ترجمة سعيد محمد اللحام، ط1، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار الجزائر، 2005، ص 50.
- <sup>47</sup> - المرجع نفسه، ص 54.
- <sup>48</sup> - المرجع نفسه، ص ص 49-53.
- <sup>49</sup> - المرجع نفسه، ص 175.
- <sup>50</sup> - أحمد مهساس، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، المصدر السابق، ص 233.
- <sup>51</sup> - حسين آيت أحمد، روح الاستقلال مذكرات مكافح 1942-1952، ترجمة سعيد جعفر، منشورات البربخ، ب.م، 2002 ص 41.
- <sup>52</sup> - المصدر نفسه، ص 42.
- <sup>53</sup> - رضوان عيناد ثابت، المرجع السابق، ص 54.

- 54 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط6، المرجع السابق، ص 233.
- 55 - بوعلام بن حمودة، المصدر السابق، ص 128.
- 56 - بنجامين ستورا، المرجع السابق، ص 190.
- 57 - شارل رويبر أجيرون، المرجع السابق، ص 934.
- 58 - عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 418.
- 59 - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة مسعود حاج مسعود، ط2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012 ص 141.
- 60 - المصدر نفسه، ص 141. أحمد مهساس، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، المصدر السابق ص 238.
- 61 - بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 142.
- 62 - فرحات عباس، المصدر السابق، ص 185.
- 63 - أحمد مهساس، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، المصدر السابق، ص 241، 242.
- 64 - محمد بوضياف، التحضير لأول نوفمبر 1954، ط2، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص 13. ينظر أيضا: صالح بلحاج المرجع السابق، ص 29.
- 65 - عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 413.
- 66 - بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 243.
- 67 - Jean Pierre Arthur Bernard, Paris Rouge 1944-1964, les Communistes français dans la capitale, édition champs vallon , 1991, p138.
- 68 - Jean Luc Einaudi, La Bataille de Paris 17 Octobre 1961, Media Plus, Algérie, 1994, p 46.
- 69 - Jean Pierre Arthur Bernard , Op-Cit, p139.
- 70 - Daniel Guérin, CI-git le colonialisme : Algérie, Inde, Indochine...ed Walter de Gruyter ; 1993, pp 41-42.
- 71 - La Brigade des Agressions et Violences
- 72 - Jean Luc Einaudi, Op.Cit, p 47.

<sup>73</sup> - Danielle Tartakowsky, les Manifestations de rue en France 1918-1968 , publications de la sorbonne, 1997, p 634.

<sup>74</sup>- Jacques Gurault, Ouvriers en banlieue XIXe , XXe siècle, Editions de l'Atelier, 1998, p345.

<sup>75</sup> - الفيلم الوثائقي: " les balles du 14 juillet 1953 " على الرابط:

[www.aps.dz/ar/culture/9199](http://www.aps.dz/ar/culture/9199)

<sup>76</sup> - سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة، ترجمة محمد حافظ الجمالي منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002، ص 61.